N-ACK-934

دير الأنبا أنطونيوس

رسومات الكنيسة القديمة

الأنبا أنطونيوس

ولد القديس أنطونيوس حوالى عام ٢٥٠ ميلادية فى أسرة مسيحية مرموقة تملك العديد من الأراضى توفى والداه وهو فى الثامنة عشرة من عمره، وتركا له إدارة أملاك العائلة. وبعد ستة أشهر من وفاتهما، وفى أحد أيام الأحد ، دخل أنطونيوس الكنيسة وسمع الآية الواردة فى الكتاب المقدس (متى ١٩ : ٢١) "إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع كل أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى." إتبع الأنبا أنطونيوس النصيحة ودخل فى زمرة المتنسكين المتبتلين لمدة طويلة، واتجه الى الصحراء حيث تقابل مع راهب آخر يسمى الأنبا بولا الذى عاش فى عزلة صارمة لمدة ثمانين عام على نصف رغيف خبز كان يحضره له غراب كل يوم. وعندما التقى الأنبا أنطونيوس بالأنبا بولا أحضر الغراب رغيف خبز كامل دلالة على قداسة الأنبا أنطونيوس، وقد صور هذا الموقف فى إحدى الرسومات الجدارية الكائنة فى صحن الكنيسة الثانى (أنظر يسارا صورة القديسين، والأنبا أنطونيوس على اليسار)، (تشير الأرقام ٢،١ الموجودة فى الصحن الثانى للكنيسة بالمسقط الأفقى المرفق الى أماكن هذا الرسم). ودير القديس الأنبا أنطونيوس ليس بعيدا عن شاطئ البحر الأحمر، يقع فى مكان اختاره القديس بنفسه فى الصحراء الشرقية ليقضى فيه آخر سنوات حياته وليؤسس جماعة من أوائل جماعات الرهبان. وبعد نياحة القديس أنطونيوس عام ٣٥٥ ميلادية، قام صديقه البابا أثناسيوس بكتابة كتاب عنوانه "حياة القديس أنطونيوس،" وهو كتاب عظيم الأثر فى العالم المسيحى وقد حث الكتاب الرهبان فى أماكل بعيدة مثل أيرلندا واسكتلندا على اتباع "أبو الرهبان" فى البحث عن الأماكن البعيدة الهادئة للتنسك والتبتل والرهبنة.

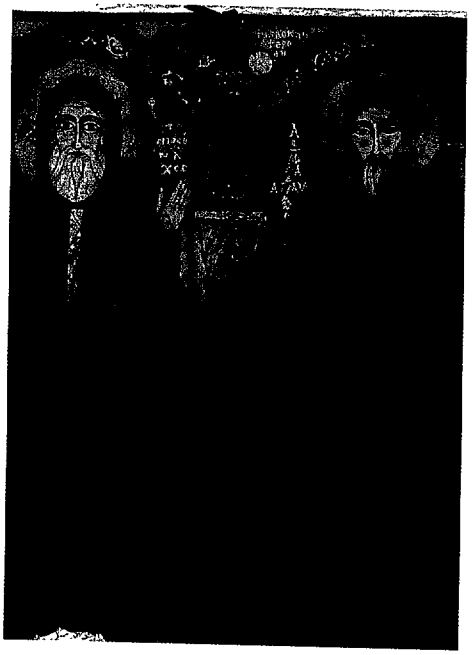

الكشف عن رسومات الكنيسة

عرفت كنيسة الأنبا أنطونيوس الأثرية برسوماتها القديمة، وكان من الصعب مشاهدة هذه الرسومات على أى من الجدران أو أسطح القباب الداخلية أو على أى من الأعمال الخشبية بها، وذلك لتراكم طبقة سميكة من الكربون وشحوم الشموع والزيوت والأتربة على أسطحهما، كما غطى الكثير من هذه الرسومات بطبقات ملاط إضافية خلال القرون القليلة الماضية. وإزداد الأمر سوءا نتيجة لتسرب مياه الأمطار من النوافذ المكسورة والتى آدت الى تلف أجزاء من هذه الرسومات. وفى يونيو ١٩٩٦، تم البدء فى مشروع متكامل لتنظيف الرسومات وترميم الكنيسة القديمة، وقد أنجز هذا المشروع فى نوفمبر ١٩٩٩، ولم تقتصر أعمال المشروع على تنظيف الرسومات فحسب، بل إمتدت لإصلاح السقف والقباب وترميم النوافذ والعناصر المعمارية المتنوعة وتنظيف وترميم الأرضيات والأعمال الخشبية الأخرى،

كما امتد المشروع الى إنشاء شبكة إضاءة كهربائية جديدة بتوصيلاتها اللازمة.

جولة فى الكنيسة

تقع كنيسة الأنبا أنطونيوس القديمة فى قلب الدير التاريخى الذى أنشأه القديس، وبجوار الكنيسة يوجد برج حماية كان يستخدمه الرهبان قديما لحماية أنفسهم. وتتصل الكنيسة فى نهايتها الشرقية بكنيسة أخرى تنسب الى التلاميذ الإثنى عشر، ويرجع تاريخ بنائها الى القرن الخامس عشر والكنيستان ملتصقتان إلتصاقا كاملا حتى انهما يظهران من الخارج وكأنهما مبنى واحد . وتبدو الكنيسة الان كأنها بنيت فى مراحل متعددة، ويوجد أدلة كثيرة واضحة لكل من تلك المراحل، فعلى سبيل المثال يوجد آثار نوافذ وأبواب قد سدت فى أزمنة لاحقه لزمن إنشائها. كما يدل عدم استقامة العديد من الحوائط، ووجود طبقات الملاط العديدة التى غطت الرسومات الجدارية ، على التغيير المعمارى المستمر الذى تعرض له المبنى. وآخر هذه التعديلات تلك التى قد تم فيها بناء القباب الحالية ورسم معظم الصور الجدارية الباهرة لتكملة عمارة الكنيسة ، وفى أغلب الظن أضيف خلال هذه التعديلات الهيكل الحالى.

وقد أمكن تحديد هوية معظم رسومات الكنيسة والتى أصبحت مركز اهتمام مشروع الترميم الحالى. فمعظم هذه الرسومات قام بها فريق من الأقباط المصريين بإشراف معلم يدعى تادرس خلال عامى ١٢٣٢ -١٢٣٣. وقام فريق ثان بإجراء الرسومات الأخرى فى فترة لاحقه من القرن الثالث عشر الميلادى. ولم يعرف الكثير عن الفريق الآخر إلا أنه

أمكن تأكيد صلته الفنية بالتراث البيزنطى والصليبى فى جزيرة قبرص. ولم يقتصر مشروع الترميم الحالى على الاهتمام بهذه الرسومات فحسب، بل امتد ليتضمن عناصر أخرى بالكنيسة مثل الشبابيك الجصية والأعمال الخشبية كالأبواب القديمة والتى تدهور حال حشواتها وضاع معظم أجزاء إطاراتها، فرممت هذه الحشوات وأعيد تركيبها فى إطارات خشبية جديدة صممت على غرار الإطارات الأصلية.

الصحن الأول للكنيسة

هو أول مكان يتطرق إلية زائر الكنيسة بعد المدخل الشمالى الغربى. وتميزت الرسومات الجدارية فى هذا الصحن بتصوير شهداء الكنيسة القدماء وهم يمتطون الجياد، وصور أسفل كل منهم مشهد صغير يعبر عن بعض معجزاتهم، وتمثل هذه الصور المرحلة الأولى فى الحياة الروحية. وأدى تنوع طرق الرسم المتبعة فى كل من صور هؤلاء الشهداء الى غنى الألوان وتعددها. ويمكن تمييز صورة القديس تادرس بالجانب الأيمن من مدخل الكنيسة، فى أقصى الشمال من الحائط الغربى (أنظر أعلى). واحتوت حوائط هذا الصحن قديما على خمس نوافذ على أقل تقدير، سدت وغطيت عام ١٢٣٢ ميلادية بطبقة ملاط رسمت عليها الرسومات الحالية. وقد سقطت للأسف هذه الطبقة وأخذت معها أجزاء كبيرة من الرسومات . ويمكن الآن تمييز مواقع هذه النوافذ لوجود فوارق واضحه فى الرسومات، وعلى سبيل التوضيح ، تم إعادة

فتح إحدى هذه النوافذ التى قد سقطت رسوماتها. وفى هذا الصحن، وعلى الحدود العليا لحوائطه الشمالية والجنوبية والغربية، يمكن للزائر تمييز آثار طبقات من رسومات أخرى تم رسمها قبل عام ١٢٣٢ ميلادية. كما يوجد بالحائط الجنوبى المقابل لحائط باب المدخل عقد كتب عليه باللغة القبطية جزء من سفر المزامير، وصورة لرئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل (أنظر أسفل يسارا).

كنيسة الأربعة مخلوقات غير المتجسدين

يؤدى الحائط الجنوبى بالصحن الأول الى صحن غير مزخرف، يؤدى بدوره الى كنيسة الأربعة مخلوقات غير المتجسدين، والتى كان مدخلها فى الأصل يقع خارج مبنى الكنيسة الحالى من الجهة الغربية. وفى عامى ١٢٣٢ - ١٢٣٢ ميلادى تقرر إغلاق المدخل الأصلى لكنيسة الأربعة مخلوقات وضمها الى الكنيسة القديمة عن طريق هدم جزء من الجدار المشترك بينهما، وبناء العقد ونتج عن ذلك ضياع أجزاء من الرسومات الجدارية التى كانت فى مكانه. ويتميز الصحن غير المزخرف بوجود بعض النقوش التذكارية التى خلفها بعض زوار الكنيسة على مر الزمان، فيوجد على سبيل المثال على جداره الجنوبى نقش تذكارى لأحد حجاج العصور الوسطى يصور مجموعة من الخوذات اعتلتها رؤوس كباش، كما يوجد نقش آخر على الجدار الشمالى الشرقى للصحن الأول خوذة مماثلة فوقها نبات الثوم. ورسم على عقد مدخل كنيسة الأربعة مخلوفات صورة للسيد المسيح محاط بتلاميذه (أنظر أعلى يسارا). وقد تم تحديد تاريخ رسم هذه اللوحة فيما بين القرنين السابع والثامن الميلاديين، ومن المرجح أن تكون كنيسة الأربعة مخلوقات والممر الذى يصل بين كنيسة الأنبا

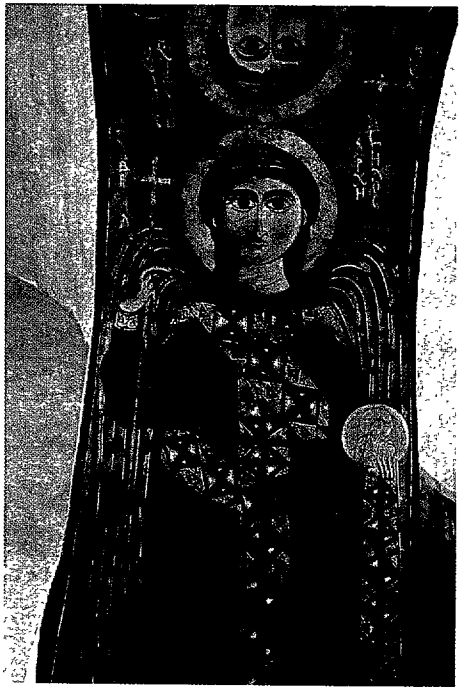

أنطونيوس وكنيسة التلاميذ الإثنى عشر أقدم الأماكن التى ظلت باقية من المبنى الأصلى حتى اليوم. وعلى الجدار الداخلى لكنيسة الأربعة مخلوقات رسم فريق المعلم تادرس صورة السيد المسيح جالسا على العرش مع السيدة مريم العذراء ويوحنا المعمدان والأربعة مخلوقات، كما رسموا فى شرقية هذه الكنيسة صليبا مزخرفا على جانبيه اثنان من الملائكة يقدمان البخور.

الصحن الثانى للكنيسة

يؤدى الصحن الأول بالكنيسة الى الصحن الثانى عبر عقد رسم عليه صورتى الأنبا باخوم والأنبا شنودة. ورسم على الجدارن الجانبية للصحن الثانى صور مشاهير الرهبان القديسين الواقفين، وتجسد هذه الصور المرحلة الثانية فى الحياة الروحية. وصورت على الجهة الشمالية للجدار الشرقى للصحن السيدة مريم العذراء جالسة وهي تحمل الطفل يسوع (أنظر الصفحة التالية) وترمز لرؤيا تأسيس الكنيسة . أما على الجهة الجنوبية للجدار فنجد صور الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا مع الغراب، وتوجد نافذتان فى الجدار الشمالى يرجعان الى ما قبل عامى ١٢٣٢ - ١٢٣٣ ميلادية، لايزالا مستخدمين . وفوق أحد هاتين النافذتين يوجد سجل كتب باللغة القبطية يحتوى على أسماء الأثرياء الذين تكفلوا بنفقات رسومات المعلم تادرس وفريقه. وأسفل هذه النافذة يوجد باب كان المدخل الأصلى للكنيسة. وفى الجدار الجنوبى المقابل يوجد باب قصير يؤدى الى ممر يصل بين الصحن الثانى للكنيسة وكنيسة التلاميذ الإثنى عشر المجاورة.

الخورس

ومن الصحن الثانى للكنيسة يصعد الزائر ثلاث درجات شرقا للوصول للخورس مرورا بعقد كبير رسم عليه رئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل، وكتب عليه جزء من المزامير باللغة القبطية. أما الخورس ذاته فتنقسم رسوماته الى قسمين، الأول عبارة عن رسومات جدارية من صنع المعلم تادرس وفريقه، فتوجد على الجدارمن الجهة الشمالية صور الثلاثة فتية العبرانيين سيدراك وميساك وعبدناغو فى آتون النار وصورة ملاك يحميهم، وتوجد على الجدار الشمالى صورة الملك نبوخذنصر وجنوده، وعلى باقى الجدار الشمالى صورة مارجرجس يمتطى حصانه الأبيض، وفى الجزء الشرقى الشمالى مشاهد من حادث استشهاده. أما على الجدار الجنوبى فقد صور القديس الشهيد مرقوريوس (أبى سيفين) على حصانه الأسود مع مشاهد من تاريخ حياته، وتوجد على الجدار الغربى من الجهة الجنوبية صورة الأنبياء إبراهيم واسحق ويعقوب فى الفردوس مع الأرواح الناجية، كما توجد على الجدار ذاته أسفل صورة أبى سيفين فتحة يعتقد أنها تؤدى الى قبر القديس أنطونيوس. والقسم الثانى من رسومات الخورس من صنع الفريق الثانى المجهول والمحتمل أن يكون قبرصى، وهى عبارة عن رسومات الجدار العلوى الشرقى والغربى للخورس ورسومات السقف والعقد والقبو الذى يعتبر من العلامات المعمارية المميزة بالكنيسة (أنظر الصورة المقابلة). والقبو مقام على عدة كمرات خشبية تم بياضها ودهانها وزخرفتها بأشكال هندسية على نسق الزخرفة العربية، وكتب عليها مقتبسات من المزامير باللغتين العربية والقبطية . وهناك أطر جصية لنوافذ فى وسط وعلى جانبى القبو، وعلى الرغم من أن معالم هذه النوافذ قد طمست من الخارج إلا أن أماكن هذه النوافذ مازالت ظاهرة من الداخل ، ووجد فى الأطر بعض من بقايا الزجاج الأصلى الملون والأبيض. وقد تم ترميم النوافذ الوسطية وتركيب الزجاج بها على نسق شكلها الأصلى ، أما النوافذ الجانبية فقد

رممت إطاراتها الجصية واستكملت بقطع من الزجاج المصنوع يدويا . وأصبح الشكل الحالى للقبو بعد تنظيفه وترميم نوافذه، يشابه الى حد كبير القبو المنفذ فى القرن الثالث عشر. ويصور الجدار العلوى الشرقى للخورس قيامه السيد المسيح، وزخرف الحائط العلوى الغربى بأشكال نباتية ملفوفة مرسومة على خلفية حمراء داكنة.

الهيكل

يقع هيكل الكنيسة بعد الخورس ويفصل بينهما عقد صور عليه أنبياء العهد القديم. والهيكل مقسم الى ثلاثة أقسام كل منهما له مذبح وشرقية ومغطى بقبة. وجميع رسومات الهيكل من عمل المعلم تادرس وأعوانه . وقد سميت الشرقية الشمالية بإسم القديس مرقص، والشرقية الجنوبية على اسم البابا أثناسيوس، وتم تصوير كل من القديسين فى الشرقية الخاصة به ورسم أعلى صورة البابا أثناسيوس صور لبعض بطاركة الاسكندرية وانطاكية. وفى القسم الأوسط من الهيكل يوجد المذبح الرئيسى والشرقية الرئيسية، والتى رسم على جزئها العلوى السيد المسيح (بانطوكراطور)، وعلى جزئها الأسفل العذراء مريم وهى جالسة حاملة الطفل يسوع ورئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل يحيطان بهما حاملين القربان المقدس. كما توجد على الجدران الجانبية المحمولة على عقود المذبح

الرئيسى ذبائح من العهد القديم، يعلوها رسم للأربعة والعشرين قسيسا المذكورين فى سفر الرؤيا. والقبة التى تعلوا الهيكل الرئيسى ترتكز على قاعدة لها ثمانية أضلاع يحتوى كل منها على نافذة أما فى القبة فيوجد رسم يصور السيد المسيح (بانطوكراطور) مع الملائكة (أنظر الغلاف). وحامل الأيقونات الموجود فى هذه الكنيسة مطعم بالعاج ويرجع تاريخه الى القرن الثامن عشر، أما حامل الأيقونات الموجود فى كنيسة الأربعة مخلوقات فيرجع تاريخة الى القرن السابع عشر، ويوجد بالكنيسة حاجزان خشبيان أولهما يفصل بين صحن الكنيسة الثانى والخورس وقد دون عليه الراهب برناردوس باللغة اللاتينية كتابات مؤرخة عام ١٦٢٦، وثانيهما يقع فى وسط الصحن الثانى. كما توجد فى الكنيسة بقايا ستائر خشبية أقدم من تلك، استخدمت بعض أجزائها كعوارض السقوف الجانبية للخورس.

وقد زار الدير على مدار القرون حجاج نقشوا للذكرى أسمائهم وصلواتهم على حوائط الكنيسة. وأقدم الزيارات المسجلة ترجع الى القرن الرابع عشر. وفى سنة ١٤٣٦ دون ديتليف شينكل اسمه وشعار (رنك) عائلته فى الجزء الأسفل وسط الحائط الغربى للصحن الأول للكنيسة. أما رسم الخوذة التى يعلوها الثوم فقد رسمها فى ذات الصحن أحد أفراد عائلة فان لووز ومؤرخ عام ١٥٥٩. وزار الراهب الفرنسيسكانى برناردوس ١٦٢٥ - ١٦٢٦ وكتب اسمه فى خمسة أماكن متفرقة منها تلك التى توجد على الحاجز الخشبى الفاصل بين صحن الكنيسة الثانى والخورس. وهناك العديد من النصوص العربية والأمهرية والأرمنية واليونانية واللاتينية والروسية والسريانية.

تم تمويل مشروع ترميم الرسومات الجدارية بكنيسة الأنبا أنطونيوس من خلال المنحة المقدمة من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية. وقام بالتنفيذ "برنامج توثيق وتنمية الآثار" التابع لمركز البحوث الأمريكى بمصر، بالتعاون مع المجلس الأعلى للآثار تحت رعاية السيد الأستاذ فاروق حسنى وزير الثقافة ورئيس المجلس الأعلى للآثار وإشراف السيد الدكتور جاب الله على جاب الله أمين عام المجلس الأعلى للآثار، وبمباركة البابا شنودة الثالث ونيافة الأنبا يسطس رئيس الدير. وقام بتنظيف وترميم الرسومات فريق عمل من مدينة روما بقيادة أدريانو لوزى ولويجى دى سيزارى بإشراف المرحوم البروفيسور باولو مورا والسيدة لورا مورا، وقام بالإشراف وإدارة الأعمال أيضا القمص مكسيموس الأنطونى (عضو هيئة ICOMالعالمية) من قبل الدير، وقاما جورجيو فيونارو وريتا ريفيلى بترميم نوافذ الخورس. ورمم السطح الخارجى للكنيسة "الدهان وفريد للاستشارات الهندسية" بإدارة المهندس كارم الدهان. وأشرف القمص مكسيموس الأنطونى على تنظيف وترميم الأعمال الخشبية بما فيها أبواب الكنيسة ، وأشترك أيضا فى جميع الأعمال السابق ذكرها. وقد تمت جميع الأعمال تحت إشراف مفتشى الآثار الأستاذ/ محمود على والأستاذ/عبد الحميد أمين إبراهيم والأستاذ/ حسن محمد ممثلى المجلس الأعلى للآثار.

وستقوم دار جامعة يال للنشر ، بالاشتراك مع مركز البحوث الأمريكى بنشر كتاب: "Monastic Visions: Paintings from the Monastery of St. Anthony" (رؤية رهبانية: رسومات من دير الأنبا أنطونيوس) وقد قام بإعداد الكتاب اليزابيث بولمان. ويحتوىالكتاب على حوالى ٢٠٠ لوحة ملونة يظهر للتداول فى أواخر سنة ٢٠٠٠، ويطلب الكتاب من مركز البحوث الأمريكى، أو من خلال عنوان دار جامعة يال للنشر على شبكة الإنترنت: www.yale.edu/yup

جميع صور هذا الكتيب لباتريك جودو ما عدا صورة الغلاف فهى لروبرت فينسنت.

صحن الكنيسة الأول

١ تادرس الشطبى
٢ مارمينا
٣ ماربقطر
٤ إقلوديوس
٥ تادرس المشرقى
٦ نقوش قبطية على العقد
٧ بيرو وأثوم
٨ القديس توان
٩ كاو
١٠ ورقة بنص عربى
١١ خوذة يعلوها نبات الثوم
١٢ القديس فيبامون
١٣ مارجرجس
١٤ يوحنا الهرقلى
١٥ القديس سوسنيوس

صحن الكنيسة الثانى

١ الأنبا أنطونيوس العظيم
٢ الأنبا بولا أول السواح
٣ أسقف مجهول (يحتمل أن يكون سرابيون الكبير)
٤ القس اسحق
٥ القديس بولس البسيط
٦ صموئيل
٧ الأنبا بيشوى
٨ الأنبا يوحنا القصير
٩ الأنبا شيشوى
١٠ الأنبا أرسانيوس
١١ الأنبا برسوم السريانى
١٢ الأنبا باخوم
١٣ الأنبا شنودة
١٤ الأنبا بسنتاؤس اللابس الروح
١٥ الأنبا موسى الأسود
١٦ سجل باللغة القبطية
١٧ مكسيموس ودوماديوس
١٨ الأنبا مقاريوس الكبير
١٩ الأنبا مقاريوس الأسقف
٢٠ الأنبا مقاريوس الشهيد
٢١ العذراء مريم (عذراء الرمز)

الخورس (رسومات القسم الأول)

١ رسومات لم تكتمل
٢ الشهيد مرقوريوس (أبو سيفين)
٣ نصوص قبطية مؤرخة
٤ الانبياء ابراهيم واسحق ويعقوب
٥ الثلاث فتية فى آتون النار ومعهم ملاك
٦ الملك نبوخذنصر
٧ مارجرجس
٨ الكاتب باسكراتيس ومشهدان لإستشهاد مارجرجس

الخورس (رسومات القسم الثانى)

٩ رئيس الملائكة ميخائيل
١٠ رئيس الملائكة جبرائيل
١١ الثلاث مريمات والملاك
١٢ القبر الفارغ
١٣ المسيح ومريم المجدلية ومريم أمه
١٤ قبو به رسومات ونوافذ ونصوص قبطية وعربية
١٥ زخرفة نباتية زهرية

الهيكل (الرسومات الحائطية السفلية)

١ العذراء مريم والطفل (أسفل) والمسيح بانطوكراطور (أعلى)
٢ البابا أثناسيوس
٣ البابا ساويرس
٤ البابا ديوسقورس
٥ البابا ثيؤفيلوس
٦ البابا بطرس
٧ البابا بنيامين
٨ أسقف مجهول
٩ أسقف مجهول
١٠ الإطار الخارجى لرسومات غير مكتملة
١١ مارمرقس الرسول

الهيكل (الرسومات الحائطية العلوية)

١٢ ذبيحة اسحق
١٣ ذبيحة يفتاح الجلعادى
١٤ ابراهيم وملشيصادق
١٥ مس شفتى أشعياء بجمر النار
١٦ الأربعة والعشرون قسيسا
١٧ نوافذ منقوشة
١٨ المسيح بانطوكراطور مع الملائكة والأربعة مخلوقات غير المتجسدين المذكورين فى سفر الرؤيا
١٩ أنبياء العهد القديم أرميا وإيليا وأشعياء وموسى وداود ودانيال

صحن غير مزخرف

١ رئيس الملائكة ميخائيل
٢ رئيس الملائكة جبرائيل
٣-٩ نقوش زوار الدير

كنيسة الأربعة مخلوقات

١ الصليب المقدس
٢ المسيح الجالس على العرش
٣ اثنان من المخلوقات غير المتجسدين المذكورين في الرؤيا ويوحنا المعمدان
٤ اثنان من المخلوقات غير المتجسدين المذكورين فى الرؤيا والعذراء مريم
٥ المسيح البانطوكراطور
٦ وجوه بعض التلاميذ الإثنى عشر

مسقط أفقى رسم بيتر شيهان ورفع مايكل مالينسون